الرسالة

(أعمال الرسل ٢٠: ١٦–١٨، ٢٨–٣٦)

في تلك الأيام ارتأى بولسُ أن يتجاوزَ أفسس في البحر لئلّا يعرض له أن يُبطئ في آسية، لأنه كان يعجلُ حتى يكون في أورشليمَ يومَ العنصرة إن أمكنه* فمن ميليتُسَ بعَث إلى أفسسَ فاستدعى قُسوسَ الكنيسة* فلمّا وصلوا إليه قال لهم* احذروا لأنفُسكم ولجميعِ الرعية التي أقامَكم الروحُ القدس فيها أساقفةً لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمِه* فإني أعلم هذا أنّه سيدخل بينكم بعد ذهابي ذئابٌ خاطِفة لا تُشفق على الرعية* ومنكم أنفُسِكم سيقوم رجالٌ يتكلّمون بأمورٍ ملتوية ليجتذبوا التلاميذَ وراءهم* لذلك اسهروا متذكّرين أنّي مدّة ثلاث سنِين لم أكفُف ليلاً نهاراً أن أنْصحَ كلَّ واحدٍ بدموعٍ* والآن أستودعكم يا إخوتي الله وكلمة نعمتِه

المجمع المسكوني الأول

انعقد المجمع المسكوني الأول سنة ٣٢٥ بدعوةٍ من الإمبراطور قسطنطين الكبير في مدينة نيقية (في تركية) بعد أن انتشرت تعاليم آريوس في كافة أرجاء الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، ما أدى إلى خلق بلبلة في إيمان الكنيسة وانحراف البعض عن الإيمان القويم. فاجتمع حوالي ٣١٨ من رؤساء الكهنة (بينهم القديس أثناسيوس الكبير، القديس نيقولاوس العجائبي والقديس اسبيريدون العجائبي) والكهنة والشمامسة والرهبان لدحض هذه التعاليم الخاطئة وإعلان وتثبيت الإيمان القويم.

ارتكز آريوس في تعاليمه على فلسفة أفلوطين، فانكر ألوهيَّة الإبن (يسوع المسيح) وقال بأنّه كان وقت لم يكن الإبن فيه موجوداً. إدعى أيضاً أنَّ الإبن هو أوَّل مخلوقات الله ومِنْ صنعه، كما أنَّ الروح القدس هو مِنْ صنع الإبن. بالتالي الإبن مخلوق وغريب من جوهر الآب وليس إلهاً حقاً.

لكنَّ الآباء القديسين نادوا جميعاً بفمٍ واحدٍ وصوت واحد قائلين إنَّه لم يكنْ وقت لم يكن فيه الإبن موجوداً، دلالة على أزليَّة الإبن مع الآب، ومساواته له في الجوهر، وأنَّه إله حق من إله حق، معلنين بذلك أنَّ المسيح مولود من الآب قبل الدهور ومؤكدين على طبيعته الإلهيَّة: «إنَّ الإبن هو من جوهر الآب، وهو إله كما أنَّ الآب إله. وتالياً يجب القول أنَّ المسيح هو من جوهرٍ واحدٍ مع الآب». ولتأكيد هذا الإيمان بألوهيَّة الإبن، وضع الآباء القديسون الجزء الأول من دستور الإيمان الذي نتلوه اليوم في صلواتنا لغاية «وبالروح القدس»، وقد تمت صياغة الجزء الثاني منه في المجمع المسكوني الثاني المنعقد في القسطنطينيَّة سنة ٣٨١ لدحض بدعة أضداد الروح القدس. كما حرم آباء المجمع المسكوني الأول آريوس قاطعين إياه من الكنيسة الجامعة.

في هذا المجمع المسكوني أيضاً تم تحديد تعيين تاريخ عيد الفصح وإقرار القاعدة التي كانت تعتمدها كنيسة الإسكندرية للإحتفال بالعيد، أي أن عيد الفصح يقع في يوم الأحد بعد أول بدر (إكتمال القمر) يلي

العدد ٢٢ / ٢٠١٧

الأحد ٢٨ أيار

آباء المجمع المسكوني الأول

تذكار الشهيد في الكهنة إفتيشيس

(سعيد)

اللحن السادس

إنجيل السَحَر العاشر

الإعتدال الربيعي في ٢١ آذار الذي يصادف في ٣ نيسان وفق التقويم الشرقي (بزيادة ١٣ يوماً).

فبشفاعات قديسيك الآباء المتوشحين بالله أيها الرب يسوع المسيح إلهنا ارحمنا وخلصنا آمين.

العطاء مغبوط

في أحد آباء المجمع المسكوني الأوّل، نقرأ مقطعاً من سفر أعمال الرسل، يذكّر فيه بولس الرسول بتعليم الرب يسوع عن «أن العطاء هو مغبوطٌ أكثر من الأخذ». قد لا يسهل على النفس التي تطلب ما لنفسها أن تجد غبطةً كبيرة في العطاء، إذ كيف تفرح نفس الإنسان بالعطاء فيما ينقصها الكثير؟ هذا الشعور نتج عن تحوّل في اتّجاه المحبة، نتيجة السقوط، من محبةٍ للآخر إلى محبةٍ أنانية للذات. عندما يرجع الإنسان إلى الله، لا تفرح نفسه فقط بالعطاء أكثر من الأخذ، بل تعاين كيف تمتلئ فرحاً وهي تفرغ ذاتها.

في إنجيل اليوم يقول الرب: «هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته». إن الإنسان يتوق ليحيا فرح الحياة الأبدية، ومن كلام الرب نفهم أن الحياة الأبدية هي معرفة الله. من يعرف الرب يسوع ويعرف الله الآب ويؤمن أنه أرسل ابنه الوحيد لخلاصنا، يتعلّم كيف يحيا فرح العطاء، لأن الرب أظهر لنا بالقول والفعل كيف تبذل المحبة نفسها.

المؤمن يعرف أنه خُلق على صورة الله، وأنّه دُعي للتمثّل به. ربُّنا كريمٌ ومُعطٍ بطبيعته، وقد أظهر عطاءه بالفعل عندما أبرز الخليقة من العدم الى الوجود، وهو لم يخلقها عن اضطرار لأنه لم يكن بحاجة إليها، بل بسخاء جوده ومحبته. لقد أراد الرب أن يجعل الإنسان شريكاً في حياته الأبدية، لكن الإنسان أخطأ وابتعد عن الغاية من وجوده. هنا أيضاً يظهر عطاء الله الذي لم يكتفِ بفعل الخلق، بل وعد خليقته بالخلاص الذي أصبحت ترتجيه إثر السقوط.

من يعرف أنّ يسوع المسيح هو ابن الله وهو مخلّصه، ويؤمن أن الله الآب أرسله لخلاص البشر، يدرك أهمية العطاء. كما أن الله لم يخلق العالم بواسطة ملاك، كذلك لم يرسل ملاكاً مخلوقاً ليخلّص العالم، بل تجسّد الابن الوحيد بذاته، لأنّ الله وحده يستطيع أن يُصلح خليقته التي برأها بنفسه. إن كمال تحنّن الله وعطائه يظهر بوضوح للمؤمن بيسوع المسيح لأنّه يعرف أن الله لم يعطِ خليقته أموراً مخلوقة فقط، بل أعطاها ذاته. لقد تجسّد ابن الله لأن أحداً من الأنبياء والصدّيقين لم يقدر أن يعطينا الحياة الأبدية لكونها ليست من طبيعتهم وهم ماكثون تحت سلطة الموت كباقي البشر. أما الإله الكلمة، الذي له عدم الموت، كونه بلا ابتداء ولا انتهاء، فهو الوحيد القادر أن يمنحنا الحياة الأبدية. وبما أننا لسنا من طبيعته الإلهية، فقد شاء بتحننه أن يتّحد بطبيعتنا البشرية، وقد أوصل الحياة الأبدية الى الجسد الذي أخذه باتّحاده به، وأوصلها إلينا عندما أعطانا نعمة الاتّحاد بجسده ودمه المقدَّسين والمقدِّسين.

ربُّنا عندما اتّحد بطبيعتنا، لم يكتفِ بهذا الاتّحاد، بل قَبِلَ أن يشاركنا حتى في ضعفنا وآلامنا ما عدا الخطيئة. هكذا تألّم ابن الله بالجسد، وهو غير متألّم بلاهوته، تألّم ومات وقُبر مثل أي إنسان آخر. إلا أن الرب بموته وطئ الموت، إذ لم يكن ممكناً أن يُضبط مبدأ الحياة في البلى، وقام في اليوم الثالث بقوة لاهوته وفتح طريق القيامة القادرة أن تبنيَكم وتمنحكم ميراثاً مع جميع القدّيسين* إني لم أشتهِ فِضّةَ أو ذهبَ أو لباسَ أحدٍ* وأنتم تعلمون أنّ حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمتْها هاتانِ اليدان* في كلّ شيءٍ بيّنتُ لكم أنّه هكذا ينبغي أن نتعبَ لنساعد الضعفاء وأن نتذكّر كلامَ الربّ يسوع. فإنّه قال إنّ العطاءَ هو مغبوطٌ أكثر من الأخذ* ولمّا قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى.

الإنجيل

(يوحنا ١٧: ١–١٣)

في ذلك الزمان رفع يسوعُ عينيهِ إلى السّماء وقال يا أبتِ قد أتتِ الساعةُ. مجّدِ ابنك ليمجّدك ابنُك أيضاً* كما أعطيتَهُ سلطاناً على كلّ بشرٍ ليُعطيَ كلَّ من أعطيتَهُ له حياةً أبديّة* وهذه هي الحياةُ الأبديّةُ أن يعرفوك أنتَ الإلهَ الحقيقيّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح* أنا قد مجّدتُك على الأرض. قد أتممتُ العملَ الذي أعطيتَني لأعملَهُ* والآن مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجدِ الذي كان لي عندَك من قبلِ كونِ العالَم* قد أعلنتُ اسمَك

للناسِ الذين أعطيتَهم لي من العالَم. هم كانوا لك وأنت أعطيتَهم لي وقد حفِظوا كلامك* والآن قد علِموا أنّ كلّ ما أعطيتَهُ لي هو منك* لأنّ الكلامَ الذي أعطيتَهُ لي أعطيتُهُ لهم. وهم قبِلوا وعلموا حقّاً أنّي منكَ خرجتُ وآمنوا أنّك أرسلتني* أنا من أجلهم أسأل. لا أسأل من أجلِ العالم بل منْ أجل الذين أعطيتَهم لي. لأنّهم لك* كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لكَ هو لي وأنا قد مُجّدتُ فيهم* ولستُ أنا بعدُ في العالم وهؤلاء هم في العالم. وأنا آتي إليك. أيّها الآبُ القدّوس احفَظهم باسمِك الذين أعطيتَهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن* حين كنتُ معهم في العالم كنت أحفظُهم باسمك. إنّ الذين أعطيتَهم لي قد حفِظتُهم ولم يهلِك منهم أحدٌ إلاّ ابنُ الهلاكِ ليتمّ الكتابُ* أمّا الآن فإنّي آتي إليك. وأنا أتكلّمُ بهذا في العالمِ ليكونَ فرحي كاملًا فيهم.

تأمل

«إن العطاء هو مغبوط أكثر من الأخذ».

في أعمال الرسل هناك حادثة تربوية جداً عن لجميع المؤمنين به. ثم أصعد الجسد الذي أخذه إلى السموات، ورفعه فوق الملائكة، وأجلسه عن يمين الآب على العرش. وكما أن الموت الذي صار إلينا من آدم لم يكن غريباً عنّا، هكذا الحياة الأبديّة التي صارت إلينا من المسيح لم تعد غريبةً عنّا. بعد ذلك منحنا نعمة روحه القدوس الذي يمنحنا الولادة الجديدة بالمسيح يسوع، وأعطانا جسده ودمه في سرّ الشكر هو القائل: «إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه ليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٣–٥٤).

هل هناك عطاء أعظم من هذا العطاء، أن يقبل إلهٌ أن يتّحد بخليقته من دون اضطرار، وأن يحمل آلامها دون أن يكون فَعَلَ أي أمر يستوجب الآلام، وأن يموت من أجل الإنسان ليخلّص الإنسان وليمنحه الحياة الأبدية؟ إن الرب فعل كل ذلك وغيره بسرور عظيم لأنّه الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف. لقد استطاع أن يعطي كثيراً لأنه أحبّ كثيراً، وهو بذلك أرشدنا إلى طريق المحبة الحقيقية. نحن بدورنا نتعلّم منه كيف تكون المحبة، وما هو سرُّ بذل الذات الذي ينتج عنه فرحٌ عظيم.

إن من يعطي يفرغ ذاته، لكن المؤمن يعتبر أنه يعطي مما أُعطيَ لأن حياته كلّها هي عطيةٌ من الله وليست ملكاً خاصاً له، ويؤمن بالرب القائل: «أَحسِنوا وأَقرِضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أَجركم عظيماً وتكونوا بني العليّ، فإنه مُنعِمٌ على غير الشاكرين والأشرار» (لو ٦: ٣٥)، هكذا يغدو العطاء طريقاً للتمثّل بالله. إضافةً الى نعمة التمثّل بالله التي ننالها في العطاء، يبقى العطاء مصدر نِعَم كثيرة يغدقها الله على الإنسان المُعطي، فيكون العطاء مصدر ربحٍ للإنسان لا خسارة: «أَعطوا تُعطَوا، كَيلاً جيداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فائضاً يُعطون في أحضانكم، لأنه بِنَفْس الكَيلِ الذي بِه تَكيلون يُكَالُ لكم» (لو ٦: ٣٨).

الشهيد يوستينوس الفيلسوف

تُعيّد كنيستنا المقدّسة في اليوم الأوّل من شهر حزيران للقدّيس يوستينوس الفيلسوف والشهيد الذي عاش في أوائل القرن الثاني. كان، منذ شبابه، متعطّشا إلى المعرفة، يميل إلى التفكير العميق، ويبحث عن الإله الحقيقي وعن مبدأ هذا العالم. وقد وصف حالته قائلًا: «القلب مليءٌ من الرغبة في سماع ما هي الفلسفة الحقّة والحسنة التي تقودنا وحدها إلى الله وتجمعنا إليه». تنقّل يوستينوس بين مدارس فلسفيّة عديدة، لكنّ الفلسفات كلّها لم تنجح في إرضاء عقله، وإنارة قلبه، وإشباع روحه المتعطّشة للنور والحق.

ذهب القدّيس يوستينوس يومًا إلى مكانٍ منفردٍ ليتعمّق وحيداً في درس آراءِ الفلاسفة القدماء. هناك، صادف شيخًا ذا هيبةٍ، وتعجّب لوجود إنسان في ذلك القفر. جلس الاثنان يتخاطبان، فسأله الشيخ عن سبب مجيئه إلى ذلك المكان، وإذ عبّر يوستينوس عن رغبته في التأمّل في بعض القضايا الفلسفية، أخذا يتكلّمان على مواضيع عدّة مثل معرفة الحق، وطبيعة الله، وخلود النفس، والثواب على الفضائل، والعقاب على الرذائل. أخبره الشيخ عن الأنبياء الذين كانوا قبل الفلاسفة بزمانٍ طويل، وكيف تحدّثوا بروح الله بينَ البشر، ناقلين لهم ما علّمهم إيّاه الروح القدس. كلّمه الشيخ أيضًا عن الله

الخالق، وابنه يسوع المسيح، مشجّعًا إيّاه على السعي في طلب هذا الإله الحقيقي فاهتدى وصار مسيحياً.

حين اهتدى إلى الإيمان المسيحي، وصف المسيحيّة بأنّها «الفلسفة الوحيدة الحقيقيّة الموثوقة والنافعة التي وجدت». أمران اجتذباه إلى الإيمان: سموّ تعليم العهد القديم، إذ وجد في التوراة والأنبياء أسس التعاليم الفلسفية، وبطولة الشهداء. بعد أن تأثّر برؤية الشهداء المسيحيّين، كتبَ في دفاعه الثاني: «في الوقت الذي كنتُ أستمتعُ فيه بمبادئ أفلاطون، وأستمعُ إلى المصائب التي يكابدها المسيحيّون، ملاحظًا أنّهم لا يرهبون الموت حتى في وسط الأخطار التي يعتبرها العالم مرعبةً، قلتُ لنفسي إنّه من المستحيل أن يكون هؤلاء أناسًا يعيشون في الشهوة والجرائم».

استشهد يوستينوس في روما سنة ١٦٥م، بقطع الرأس، مع ستة أشخاص آخرين من تلاميذه، على عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. قد يكون سبب استشهاده أنه هَزمَ علناً فيلسوفًا كاذبًا اسمه كريسنس، ما لبث أن وشى به لدى السلطات، فأوتيَ بيوستينوس أمام المحكمة بتهمة المسيحية. له مؤلّفاتٌ عدّة لكنّها ضائعة، ما يعيق التعرّف إلى لاهوته بشكلٍ دقيق. وصلنا منها الدفاعان والحوار مع تريفن ــ أحد المعلمين اليهود ــ وهي كتاباتٌ مبنيّةٌ على العقل ومستندةٌ إلى الفلسفة، هدفها إقناع أشخاص غير مسيحيّين بأنّ المسيحيّةً هي وحدها الفلسفة الحقيقيّة في الحياة.

الفكرة الأهمّ في لاهوت القديس يوستينوس هي «الكلمة المبذورة»، وبها حاول مسحنة الفلسفة. يقول إنّ كلّ إنسان يملك في عقله بذرةً من «الكلمةً»، لكنّ «الكلمة» هو المسيح، ما يعني أنّ الانتماء إلى «الكلمة» بشكلٍ كلّي لا يتحقّق سوى في المسيحيّة. كان يوستينوس متعاطفًا مع الفلسفة اليونانيّة، إذ اعتبر أنّها كانت تسعى وراء الحقّ. هذا ما دفعه إلى القول في دفاعه الأوّل ضدّ الإمبراطور إنّ المسيح هو «الكلمة الذي كان لكلّ الجنس البشري نصيب فيه... وهو ابن الله، كلمته الذي يشترك فيه الناس جميعًا». من هنا، يعتبر يوستينوس أنّ مَن عاش حياةً تتّفق مع الكلمة، قبل مجيء المسيح، إنّما كان مسيحيًّا، مثل سقراط وهيراقليتوس، وابراهيم وإيليا. ويؤكّد أنّ أفلاطون أخذ من موسى بعض تعاليمه، لكنّه يعود ويشدّد على أنّ كلمات المسيح هي الأسمى والأعظم، إذا إنّ فيها قوّةً مغيّرةً تبدّل حياة البشر.

يمكننا القول ان التواصل يتحقّق بين الله والبشر عبر الكشف الإلهي. يعتقد القدّيس يوستينوس أنّ المسيح «كلمة» الله هو مَن أنار العقول منذ البدء. فاكتشاف الفلاسفة لبعض الحقائق تمّ بواسطة «الكلمة». هؤلاء أخطأوا أو تناقضت أقوالهم في بعض الأحيان لأنّهم لم يعرفوا «الكلمة» بكليّته. إذاً، بالنسبة ليوستينوس، ملء الحقّ موجودٌ في المسيحية وحدها، ويعبّر عن ذلك قائلاً: «كلّ حقّ قد قيل، في أي وقت وفي أي مكان، هو ملكنا نحن المسيحيّين».

سبت الأموات

تقيم كنيستنا المقدّسة نهار السبت ٣ حزيران تذكارًا لجميع الراقدين على رجاء القيامة والحياة الأبدية. لهذه المناسبة تقام القداديس في كلّ كنائس الأبرشية.

صفات الرحمة المسيحية.

في أحد الأيام، في الساعة الثالثة من بعد الظهر، كان الرسولان بطرس ويوحنا صاعدين معاً إلى هيكل أورشليم ليصلّيا. بالقرب من باب الهيكل كان يجلس إنسان أعرج من بطن أمه وكان يسأل صدقةً. عندما اقترب الرسولان طلب منهما صدقةً، حينئذٍ قال له بطرس: «أنظر إلينا»، فنظر إليهما الأعرج بانتباه. كان مظهرهما كافياً لكي يدل على فقرهما. وماذا فعلا؟ هل تركاه من دون مساعدة؟ لا. قدّما له شيئاً أثمن من الأموال بما لا يقاس. قال له بطرس: «ليس لي فضّة ولا ذهب ولكن الذي لي فإيَّاه أعطيك: باسم يسوع المسيح الناصري قُمْ وامشِ!»، وأمسكه بيده اليمنى وأقامه، ففي الحال تشدّدت رجلاه وصار يمشي (أع ٣: ١–٨).

هل ترى فقراً مع أموال، أو غِنىً مع أحاسيس جيّدة ومواهب إلهية؟ إذاً، نحن أيضاً إن لم تكن لدينا أموالٌ لنعطيها للفقراء، فلنعطِهم محبّةً وتعزيةً وصلاةً، ولنعطِ ما يملكه قلبنا الرحيم، لأنّ هذه أيضاً صدقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم